الغني والفقير والمعتدل

تـأليف

محمد سمير الموصللي

مقدمة

كنت من صغري ألاحظ الفرق بين طبقات المجتمع ولكنني لم أكن أعلم لماذا هذا الفرق، كنت أعتقد أن الناس خلقهم الله هكذا منهم الفقير المعدم ومنهم الغني المترف ومنهم المعتدل الذي يعمل جاهدا ليرتفع درجة نحو الغني أو يعمل جاهدا لئلا يقع بالفقر.

من يملك المال يملك القرار ومن لا يملكه لا يستطيع شيئا بل تملى عليه القرارات، هذه هي القاعدة التي يسير عليها الإنسان في المجتمعات، ومن يملك قليله يستطيع أن يقرر بعض الأحيان لنفسه فقط.

لماذا الملك يملك كل شيء والفقير لا يملك شيء؟ الأديان تقول إن الله هو من يوزع الأرزاق ولكن ابن الملك يصبح ملكا وابن الرئيس في البلاد المتخلفة رئيسا وابن الفقير ربما يرتفع قليلا أو لا يزال فقيرا وإذا دخل في سلك السياسة إما أن يصبح غنيا أو سجينا.

قررت عمل بعض الدراسات حول هذا الموضوع ولكني لا أريد الغوص في كتب رأس المال ولا في كتب السياسة بل أحببت أن أتطلع على هذه الدراسات من الشبكة العنكبوتية لما تقدمه من معرفة واسعة في هذا المجال ولكني صببت اهتمامي على أطفال هذه الفئات لما سيقدمونه في المستقبل وإلى أين سيقودون الشعوب وإلى أي مستوى سيرتفع الإنسان.

السياسيون والأغنياء في الوطن العربي، تقوم وتيرة حياتهم اليومية في إدارة مصالحهم الخاصة ولو على أكتاف الغير، ثم مصالح عائلاتهم ومستقبلهم وخاصة مصير ممتلكاتهم التي جمعوها في حياتهم.

حياة الأغنياء لا تصدق، لنأخذ مثالا الشيوخ العرب الأغنياء، عند زواج ابنته أو ابنه تقام الأفراح لمدة أسبوع تتخلله الأطعمة اللذيذة الغالية والديكورات الفخمة للمدعوين الذين تتراوح أعدادهم المئات، شراء تذاكر الطائرة بالكامل لنقل الصقور أو شراء أحدهم لوحة لسيارته التي تحمل الرقم واحد ب خمسة ملايين دولار، لا لشيء فقط لأنهم يريدون أن يكونوا في المقدمة، حتى المباني في قطر ودبي يفتخر أصحابها بمدى ارتفاعها وتكلفتها، كما أن الشيوخ العرب يفتخرون بالأحصنة العربية وجمالها لذلك يمتلكون الكثير منهم في اصطبلاتهم وينفقون الكثير لرعايتهم كما أنهم صنعوا تماثيل لأحصنتهم من الذهب وبالحجم الكامل تماما، يزور سنويا حوالي 60 ألف شخص المبنى التجاري مانشستر الإنكليزية من المملكة السعودية والكويت وقطر والعراق وفق لتقارير الحكومة الإنكليزية وينفقون الكثير من خلال إقامتهم في إنكلترا سواء في الفنادق الفخمة أو لحجز غرف إضافية في هذه الفنادق ليضعوا فيها ما اشتروه من المحلات التجارية الفخمة، أما أطفالهم فهم المدللون منذ نشأتهم ويعتادوا على اطلب تجد وليس عملا تكسب فإذا صادف بعد ذلك ولم تلب مطالبهم انقلبوا على أهاليهم بالمشاكل والمتاعب مما يحولهم إلى تعساء وأحيانا يصل الحال بهؤلاء الأبناء إلى الإدمان والانحراف، يتعاملون مع أموال أبويهم على أنها لا تنتهي أبدا ولذلك لا يبذلون أي جهد للحصول عليها ويتربون في رفاهية مطلقة، اعتادوا على اقتناء الأشياء النادرة مهما كثرت تكلفتها أو امتلاك الحيوانات النادرة والمتوحشة وأروع الابتكارات النادرة وفائقة التقنية، لا ينتظر المراهقون مصروفهم من آباءهم لأنهم يمتلكون كل شيء ويأخذون ما يريدون من الأموال والدليل على ذلك هو ما يبثونه من عاداتهم عبر التواصل الاجتماعي من صور ومقاطع الفيديو، يتفاخر أطفالهم بألاعيبهم وهواتفهم الآيفون الذهبية وسياراتهم الفيراري وساعاتهم الذهبية كما أن بعضهم يمتلكون طائرات خاصة ويذهبون أينما شاءوا، يستطيع أي شخص منهم أن يستدعي أحد المشاهير إلى بيته أو إلى حفل خاص أو أي حفل في أي مكان فقد أنفق الأمير فهد ابن آل السعود 17 مليون دولار في حديقة

ديسنيلاند في باريس للاحتفال بتخرجه من 22إلى 24 من شهر مايو عام 2013 حجز مناطق كاملة من الحديقة لنفسه ول60 شخصا من ضيوفه وفق لوسائل الإعلام فقد حضر العديد من مشاهير ديسنيلاند والعروض المتنوعة، كما أن شخصا يدعى راشد سيف بن حصى قد استضاف في بيته العديد من المشاهير الممثلين والمغنين والرياضيين وكثير غيرهم لأنه ابن سيف أحمد بن حصى قطب البناء في دبي، هؤلاء الأثرياء لا يمكنهم تعداد أموالهم من كثرتها.

طبعا السياسيون في الوطن العربي يدرجون تحت بند الأغنياء، عندما يموت الرؤساء مثل القذافي وحسني مبارك وحافظ الأسد وشقيقه رفعت تكشف حساباتهم التي سرقوها من الشعب، رفعت الأسد الذي يملك قصور عدة في أوربا وحسابات بنكية في كل مكان، حتى أبنائهم مثل باسل ابن حافظ الأسد الذي مات بحادث سيارة في سورية، كان له في حسابه بسويسرا مليارات الدولارات، وعمره لا يتجاوز ال 25 عاما والده كان ضابطا في الجيش يتقاضى مرتبه مثل باقي الناس، فمن أين له هذه المليارات؟ إن لم يمت لما انكشف سره وفضح أمره.

إن رفعت الأسد شقيق حافظ الأسد لم يكن شيئا، وعندما أصبح شقيقه رئيسا للبلاد عمل لنفسه جيشا دعاه سرايا الدفاع حيث يبعث بدبابة إلى أرض يعجبه ويأخذها بالقوة من صاحبها، أو يستحل بيتا يعجبه ليصبح ملكه، مما جمع أموالا كثيرة، ولم يعجبه الحال فطمع بالرئاسة بدلا عن أخيه مما أدى إلى نفيه خارج سورية وحل جيشه، له قصورا في جميع أنحاء أوربا وأنا شخصيا زرت بيتا له بجانب برج إيفل طابق أول يتألف من عدة غرف كبيرة وبه من المخبرين التابعين له عددا كبيرا يعتنون في بيته ويجددون أساسه كل فترة وكل هذا على حساب الشعب السوري، له العديد من البيوت أو القصور التي تتوزع في كل أوربا ولها نفس العدد من المخبرين حتى له إذاعة خاصة في بريطانيا لتبث أنشطته الكاذبة.

إن عائلات السياسيون والأمراء والملوك لهم حصة الأسد في كل شيء، فهم جميعا أكبر مشكلة في اقتصاد البلاد، وأكثر بلاء على مستقبل البشر،

هذا ماعدا المستفيدون وقارعي الطبول والمحتالون في ذيول الأغنياء والسياسيون.

إن حياة البذخ الذي يعيشون به ويربون أولادهم عليه أكبر مثال على انحلالهم وسوء أخلاقهم وأبشع ممارساتهم على الإنسانية فهم يعتقدون أنهم فوق البشر ومن حقهم أن يفعلوا ما أرادوا بعيدا عن القانون الذي يحميهم ويطبق بحذافيره على الفقير والمسكين.

إن الأغنياء والسياسيون العرب خاصة عاشوا حياتهم فمنهم من مات ومنهم من ينتظر، ولكن المشكلة في ذريتهم من أبنائهم وأحفادهم.

الطبقة الغنية

ظهر مصطلح متلازمة الطفل الغني في تسعينيات القرن الماضي، والذي يرمز إلى حياة الطفل في الآسرة الغنية، تعد متلازمة الطفل الغني من المشكلات التربوية الخطرة التي قد يقع فيها الوالدان، لأنها تتأثر بتنشئة الأبوين ويعكس ذلك على شخصية الطفل وسلوكه ومستقبله، فمن الطبيعي أن تؤدي الحماية المفرطة إلى عدم تربية الطفل تربية مناسبة، ونتيجة لذلك يفتقد عند البلوغ المهارات الضرورية للتعامل مع تقلبات الحياة لأنه لم يتعود المثابرة والكفاح للحصول على ما يريد، واستخدم مصطلح الطفل المدلل على مدار عقود قبل أن يظهر مصطلح متلازمة الطفل الغني أول مرة في تسعينيات القرن الماضي. وظهر مصطلح "أنفلونزا" أول مرة في كتاب "الغيتو الذهبي.. علم نفس الثراء" الذي ألفته الخبيرة النفسية جيسي إتش وأنيل التي تقول إن للأطفال الذين يعانون هذه السمات الغريبة أن يُظهروا سلوكا غير مسؤول وأن يفتقروا إلى الشعور بالتعاطف، ويعود الأمر أساسا إلى سلوك الوالدين، بخاصة حين يجلبون كثيرا من الهدايا للأطفال لتعويضهم عن الغياب الطويل، هناك كثير من المؤشرات التي تساعدك على أن تعرف إن كان طفلك يعاني متلازمة الطفل الغني، فعلى سبيل المثال، قد يقول في كثير من الأحيان إنه يشعر بالملل رغم أن لديه كثيرا من عوامل الترفيه المتاحة، ويريد الحصول على المزيد.

ولا يُعدّ إعطاء الهدايا للأطفال أمرا سيئا في حد ذاته لأن أحد الوالدين يمكن أن يعطي طفله هدية ليهدأ أو يتوقف عن البكاء، كما يمكنه أيضا تقديم هدية عندما يتصرف الطفل بأسلوب جيد، ولكن القيام بذلك آليا وبمناسبة أو غير مناسبة خاصة يؤثر سلبا في الصحة النفسية للطفل.

ولا يؤدي الإفراط في تقديم الهدايا إلى جعل الطفل مدللا فحسب، بل هناك كثير من العواقب الأخرى التي يمكن أن تنجم عن مثل هذه التنشئة، ومن بينها تدنّي احترام الذات وفقدان القدرة على التحدي وعلى مواجهة الإحباط والتغلب على المشاكل. في الواقع، يعتقد الطفل الذي اعتاد تلقي الهدايا دون أن يستحقها أن والديه سوف يتعاملان مع أي موقف مزعج بدلا عنه.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك الافتقار إلى الانضباط والإخفاق الأكاديمي وإلى صعوبات في التعامل مع الآخرين وعدم السيطرة على الغضب، ويمكن أن يصل الأمر إلى سلوكيات خطرة أخرى مثل إدمان تعاطي المخدرات.

من خرج إلى الوجود وفي فمه ملعقة من ذهب فسيعاني من خواء فكري ومعنوي ويعاني من الضجر الداخلي الذي ينخره من الداخل، يبدأ هذا الشاب بتعويض الثراء الداخلي الذي يفتقده بثروة خارجية و مادية لأنه يعاني بالغنى الظاهري والفقر الداخلي، وبهذا سيكون شبيها بالشيوخ الذين يبحثون عن مصدر جديد للقوة والطاقة بين أفخاذ الصبايا في عمر الزهور وبذلك يقود الفقر الداخلي إلى فقر خارجي محقق، فهذا الخواء الداخلي هو الذي يدفعهم نحو البحث عن كل أنواع التجمعات البشرية والتسليات لأجل تمضية الوقت والجري وراء المتع ومظاهر البذخ، كما يقول آر تور شوبنهاور في كتابه فن العيش الحكيم.

ماذا عن أطفال الملوك والأمراء والرؤساء، أطفال الملوك سيصبحون ملوكا وأطفال الرؤساء كذلك إلا إذا ازيل من تحتهم الكرسي قبل إتمام تنصيب أولادهم.

في الحالة السورية، كان حافظ الأسد يرغب بجعل ابنه الأكبر باسل رئيسا من بعده ولكنه مات بحادث سيارة بسبب سرعته الكبيرة مع عناصر الحماية له، وعندما مات حافظ الأسد استدعوا ابنه الثاني من إنكلترا لأنه كان يدرس طب العيون وكان عمره 36 عاما ولكن الدستور

السوري ينص على أن يكون عمر الرئيس أقل شيء 38 سنة مما أدى إلى تغيير القانون ليصبح ولده الثاني رئيسا للبلاد وبدأ بالتدريب على رئاسة البلد، وعندما ثار الشعب السوري عام 2011 واجه الشعب السوري بالدبابات والإعدامات لأنه يعتبر سورية مزرعته الخاصة ولا أحد له الحق على الاعتراض.

ولكن ماذا لو كان ابنه الأكبر باسل لم يمت بحادث سيارة فقد كان سيصبح رئيسا للبلاد بعد والده لأنه تلق التعاليم اللازمة ليصبح رئيسا ليس كما أخيه بشار، ولكن أي تعاليم؟ فقد جابه والده ثورة الاخوان المسلمين التي بدأت في مدينة حماة السورية عام 1982م والتي قتل فيه 35000 مدني لأن الاخوان المسلمين قد هربوا من المدينة قبل اجتياحها، وعمه رفعت الذي حصد سجن تدمر بما فيه من السجناء السياسيين الذين تعدادهم بالآلاف وحراسهم، إن الابن سيتعلم كيف يقبض على البلد بقبضة حديدية بفضل عائلته الدموية، إن بشار الرئيس السوري غير قادر على حمل المسؤولية وقد ورث الكرسي عن أبيه، كما أن الطائفة العلوية قد أخذت قرارها بالدفاع عنه بالرغم من عدم سرورها له لأنهم يعتقدوا بأن استمرار حياتهم باستمرار هذا النظام، النتيجة هي عشر ملايين سوري قد هجروا من وطنهم وآلاف القتلى والمفقودين بسبب الأسلحة الكيميائية المحرمة دوليا التي حصدت أرواح الأطفال والنساء والشيوخ من المدنيين وبسبب البراميل المتفجرة التي سقطت على رؤوسهم مثل المطر وقد استعان بإيران وحزب الله وروسيا للدفاع عن كرسيه وطبعا على حساب الشعب السوري وقد باع لهم الأراضي والبيوت التي استولى عليها بأسعار رمزية بعد أن أحرق كل الوثائق التي تثبت ملكيتها للشعب الذي هرب من جحيم القتال، ماعدا آلاف السجناء والمفقودين والنازحين.

ابن القذافي دعا احدى المطربات الأجنبيات لإحياء حفلة عيد ميلاده حيث كلفت مليون دولار، عندما مات القذافي كان في حسابه المليارات التي اودعت في البنوك الأجنبية والتي بقيت هناك لعدم استطاعة استرجاعها إلى البلاد كما أن الرئيس حسني مبارك عندما مات كان يملك 130 مليار

دولار، إن أملاك أمراء وملوك الخليج في أميركا وأوربا تدار هناك وتعود الفائدة عليهم لعدم تعاطي المسلمين مع الفائدة والربح الكبير والأموال المسروقة تعود لمساعدة اليهود في القضاء على أهلنا في فلسطين وتعزيز احتلالهم لهذه الأراضي وحرمان أصحابها منها.

إن الكثير من الرؤساء والوزراء وأولادهم يرتكبون الجرائم بحق القاصرات خاصة ولا أحد يعلم، كان رفعت الأسد عندما تقع عينه على احدى الفتيات الجميلات يرسل عناصره لإحضارها رغما عن أنفها وأنف أهلها ويفعل بها ما يشاء والويل لها ولأهلها إذا ثاروا ضده.

إن التاريخ ينبئنا كيف يرث الابن الخلافة أو الرئاسة عن أبيه، وكيف يسير الابن على طريق والده.

أما الملوك، فقصصهم تختلف بعض الشيء، فإن الحكم الملكي ينص صراحة على أن الابن الأول هو من سيكون الملك، وكم من الأبناء من قتلوا آبائهم ليجلسوا على الكرسي عبر التاريخ، أو تصارع الإخوة على العرش، أما الآن في هذا العصر الحديث، فقد يتربى الأطفال تربية خاصة بحيث يتعلم كل شيء لإدارة البلاد من بعد الملك الراحل، ولكن مهلا، لماذا العائلة الحاكمة هي من يتوارث فيها حكم البلاد، إن تتابع الأجيال في العائلة الحاكمة تجعل العائلة تكبر بشكل أسي بحيث تضع يدها على كل شيء في البلاد من اقتصاد وسياسة وتجارة وصناعة وتصدير واستيراد أي بكل شيء، أما الشعب فلا يحصل إلا على الفتات، لماذا العائلة الحاكمة تتمتع بكل شيء على حساب الشعوب المسكينة.

يسرد لنا التاريخ الإسلامي كيف تصارع الخلفاء على العرش وكيف عملت الخيانات والاغتيالات على تصفية الخلفاء سواء من بداية الخلفاء الراشدين مرورا بالأمويين ثم العباسيين ثم العثمانيين وكيف توسعت الأراضي العربية والإسلامية مما أدى إلى استقلالية الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة وأخيرا سقوط الخلافة العثمانية وتقاسم الاستعمار كل

الأراضي العربية إلى أن أخذت استقلالها بالاسم فقط ولا تزال تابعة إلى القوى العظمى حتى الآن.

التاريخ الإسلامي يسرد أخبار البذخ الذي قام به الحكام أو الخلفاء عبر التاريخ، أولهم عثمان بن عفان الذي وضع جميع أقربائه بالحكم وتصرف في بيت المال المسلمين على مصالحه الشخصية.

الطبقة الفقيرة

يقول فيودور دوستويفسكي الفقر يجعل الأحداث البسيطة معقدة ومؤلمة وفي الفقر يفقد الإنسان هيبته واحترامه، الفقر يجعل الحياة لا تطاق.

يقول الفيلسوف جان بول سارتر الفقر يسلب الإنسان كل شيء حتى حقه بالحلم حيث الجوع يطرق الأبواب كل ليلة، الفقر يحرم الإنسان من ضروريات الحياة يجعل الخبز رفاهية والملابس حلما بعيدا وفي الفقر يصبح البقاء نفسه معركة يومية لا مجال فيها للكرامة.

يقول نتشة الفقر هو أقسى أشكال العبودية حيث يصبح كل يوم تحديا للحصول على لقمة العيش إنه الإذلال المستمر حيث يجبر الإنسان على التسول من أجل البقاء.

حياة الفقير مليئة بالمآسي والحرمان والحاجة لكل شيء، ينسب إلى الشافعي قوله شعرا:

يمشي الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضِدَّهُ * والناسُ تغلقُ دونهُ أبوابَها**

وتراهُ مبغوضاً وليسَ بِمُذنبٍ * ويرى العداوةَ لا يرى أسبابَها**

حتى الكلابَ إذا رأت ذا ثروةٍ * خضعت لديهِ وحرَّكَتْ أذنابَها**

وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً * نَبَحَتْ عليهِ وكَشَّرَتْ أنيابَها**

مشكلة الفقير ليست بفقره فقط بل بنظرة الناس إليه مما ينتج عن تغير في الأفكار والأعمال، وطبعا في تربية الأطفال وإنشاء جيلا جديدا عاش تحت خط الفقر والجوع والحرمان وانعدام الثقة بمجتمعه ومبادئه بالحياة مما يدفعه إلى ارتكاب الحماقات والإجرام مثل السرقة والاحتيال وأحيانا القتل والاتجار بالممنوعات والبحث عن المهالك في الحروب والصراعات لأجل كسب المال.

تغلق الأبواب بوجه الفقير بينما تفتح بوجه الغني ولو كان أقل منه كفاءة ولكن بكثير من الأحوال يعيش الفقير بالشوارع لتحصيل المال بينما أطفال الأغنياء يدخلون المدارس للتعليم وإن دخل الفقراء إلى المدارس في حال قدرتهم على التعليم فهم يمنعون من الوصول إلى مناصب عليا بعكس أبناء الفاسدين الذين يتدربون منذ الصغر على قيادة الشعوب مثل القطعان أو ليتخرج أحدهم مديرا أو قائدا، بينما الفقراء يقفون بالأدوار ليحصلوا على وظيفة ما.

إن القانون يطبق على الفقير فقط بينما الغني فهو فوق القانون كما أن الفقير يعاني من الأمراض الويلات لعدم استطاعته تحمل تكاليف العلاج فهو يشعر بالمرارة حتى ولو أصبح غنيا فيما بعد، فلا يزال يصعب عليه انفاق أموالا كانت في السابق تعدل مصروفا شهريا لأسرته، إن الفقير ينحاز للفقير مثله بينما الغني ينحاز للغني مثله بحيث يتهرب الأغنياء من معاشرة الفقراء ويتهرب المسؤولون من مخالطة أبناء دوائرهم الانتخابية بعد فوزهم فيها، والدبلوماسيون من مخالطة أبناء جاليات بلدهم الفقراء في بلاد الغربة، حتى ولو كانوا هم سبب علوهم ورفعتهم، وحتى لو كان هؤلاء الأغنياء في الأصل من محدودي الدخل الذي انتهزوا الفرص وتسلقوا السلالم بطرقهم الخاصة، إن أسوأ من الفقر؛ هو الفساد المجتمعي والسياسي والتعليمي والصحي والأخلاقي والنفسي الناتج عن تكدس المال والثراء في فئات معينة، وبقاء المال دُولةً بين الأغنياء منهم.

الجزيرة: جولة في عقول الفقراء، هل يجعلنا الحرمان حقا أقل ذكاء؟

إن مشكلة الفقر تستدعي أخرى، وهذه الأخرى بدورها تسهم في مشكلة جديدة وتؤدي في النهاية إلى سلسلة لا تنتهي من النتائج المدمرة.

يحكي إيريك جنسن كيف شغله التساؤل حول معاناة الفقراء، فيقول: لم أستطع أن أتفهَّم لماذا لا يستطيع الفقراء أن ينقذوا أنفسهم من دائرة الفقر. كنت أعتقد أن الفقراء لو بذلوا جهدا أكبر أو كانت لديهم فرص أكبر لتمكَّنوا من تحقيق النجاح هكذا ببساطة، حيث إن الفقر ليس مرضا ينتقل

بالوراثة عبر الجينات، كما أنه ليس وجهة تُفرض على بعض الأفراد أو الدول، فما الذي يجعل بعض الأفراد أو الدول أحيانا تقبع في الفقر لسنوات طويلة تبدو بلا نهاية؟

كثيرة هي الدراسات التي تحاول أن تعالج هذه المشكلة، ساعية لطرح حلول لتجاوز هذا المأزق، لكن أحد الأبحاث الحديثة نسبيا يخبرنا أن "الفقر يُغذِّي نفسه"؛ ويرجع ذلك إلى أن العبء النفسي للندرة -أي ندرة الفرص المتاحة التي تُغلِّف حياة الفقراء- يؤثر في الدماغ البشري، بحيث يؤدي إلى ضعف الإدراك، مما يقود الفقير في نهاية المطاف إلى اتخاذ أسوأ القرارات، وبالتالي الاستمرار في دائرة من الفقر الذي يُعيد إنتاج نفسه، وهكذا، يتحوَّل الفقر في حد ذاته إلى حائط صد منيع في وجه مساعي التغلُّب على الفقر، وهو ما يقود مثلا إلى اتخاذ قرارات مالية مُكلِّفة تزيد الوضع سوءا، مثل شراء ورق اليانصيب، أو أخذ قروض بفوائد عالية. كانت مثل هذه القرارات تُعزى في الماضي إلى شخصية الأفراد ذوي الدخل المنخفض أو البيئة التي يعيشون فيها وقلة التعليم، لكن أستاذ العلوم السلوكية بجامعة شيكاغو أنوج شاه يُقدِّم تفسيرا جديدا؛ حيث يُبيِّن أن العيش مع الندرة يُغيِّر سيكولوجية الأفراد، وطريقة تفكيرهم واتخاذهم للقرارات.

بعبارة أخرى، كثيرا ما تُتخذ القرارات تحت إلحاح حاجات لا تتوفر الموارد لسدها، وتُهمل -إلى حين- احتياجات أخرى تكون أقل إلحاحا رغم أنها ربما تتفجر في وقت قريب، فتحت ضغط متطلبات مثل دفع الإيجار أو الطعام قد تُهمل الصيانة الدورية لأحد الأجهزة بالمنزل، لينتهي بأحدهم الحال مثلا لدفع ثمن باهظ لاحقا لإصلاح أعطال متراكمة أو استبدال جهاز أصبح غير قابل للإصلاح، لكن الأمر المُثير للانتباه حول الندرة التي يتخذ بها الفقراء قراراتهم أنهم -بخلاف معظم الناس- لا يملكون رفاهية تعديل رغباتهم أو تطويعها لتناسب الموارد المتاحة، ففي حين تواجه الأفرادَ ذوي الدخل الأعلى مشكلةُ عدم القدرة على شراء

سيارة مثلا، تواجه الفقراءَ مشكلةُ عدم القدرة على شراء الطعام، أي توفير المقومات الأساسية للحياة ذاتها.

وبهذا، تتشوَّه رؤيتهم للواقع من خلال الوقوع في فخ ما يُعرف بـ الرؤية النفقية" (وهو بالأساس عيب في الإبصار يؤدي إلى رؤية تُشبه النظر من خلال أنبوب) التي تعني التركيز على جانب واحد من المشهد، وهذا الجانب يكون المورد الغائب، وتركيز كل طاقة العقل على طرح الحلول والأفكار لمواجهة نقص هذا المورد، لكن هذا المشهد المقتطع -الذي لا يرى فيه الفرد بوضوح سوى الاحتياجات المُلِحَّة- يُخفي احتياجات أخرى لا يراها الشخص إلا حين تقترب وتبقى وحدها المسيطرة على المشهد، وهكذا يغيب عن إدراكه جوانب كثيرة تستدعي التفكير في حلول لها قبل أن تستحيل إلى احتياج كبير يصعب التعامل معه، فمثلا يرى الفرد في بداية الشهر حاجة وحيدة تسيطر على تفكيره هي التزامه بدفع الإيجار الشهري لمسكنه، بينما يغيب عن إدراكه موعده المنتظر بعد أسبوع لزيارة الطبيب.

بعبارة أخرى، تجعل الرؤية النفقية تفكير المرء مُنصبًّا على الوفاء بالاحتياجات الآنية بأي ثمن، حتى لو اضطر مثلا للاستدانة بفائدة كبيرة تزيد من أعبائه المستقبلية، وهكذا تدور عجلة الفقر دون توقُّف، حتى إن أثرها يمتد أحيانا ويُورَّث للأبناء جيلا بعد جيل

بخلاف ذلك، لدى الفقر تأثير طويل الأمد على الأطفال على وجه الخصوص، حيث تُشير الدراسات إلى وجود علاقة بين مشكلات ضعف النمو لدى الأطفال في المناطق الفقيرة -وأبرزها سوء التغذية- وبين تحقيقهم لنتائج قليلة في الاختبارات المعرفية واختبارات المدرسة.
وللأسف فإن الأمور لا تتوقَّف عند هذا الحد، حيث يمتلك الفقر أيضا تأثيرا مدمرا على الوظائف الفيزيقية" والاجتماعية والانفعالية والمعرفية لدى الأطفال وأُسرهم، حيث يُشير برنامج الصحة والنمو لدى الأطفال

إلى أن 40% من الأطفال الذين يعيشون في فقر مزمن لديهم قصور في مجاليْن وظيفيين (مثل اللغة والاستجابة الانفعالية) في سن الثالثة.

على الرغم من أن مرحلة الطفولة تعتبر وقت الانطلاق والبهجة والاستكشاف وراحة البال، فإن الأطفال الذين يعيشون في فقر يمضون وقتا أقل في استكشاف العالم من حولهم ووقتا أطول في الكفاح من أجل البقاء على قيد الحياة.

في ستينيات القرن الماضي في غواتيمالا على سبيل المثال، أجرى فريق من العلماء تجربة وزَّعوا فيها مكملا غذائيا على مجموعة من الأطفال في المناطق الريفية استناد إلى فرضية تقول إن تزويد الأطفال بالبروتين في السنوات الثلاث الأولى من حياتهم سيُحسِّن خيارات النمو لديهم. ولاحظ الباحثون بالفعل نموا بين سنتيمتر واحد وسنتيمترين لدى هؤلاء الأطفال مقارنة بغيرهم، إلى جانب حصولهم على درجات أعلى في اختبارات القراءة، وبمتابعة حياة هؤلاء الأطفال وجد الباحثون أن الفتيات اللاتي أصبحن نساء قد واصلن التعلُّم لسنوات أكثر، وأصبح الأولاد بعدما صاروا رجالا يحصلون على دخل أعلى في وظائفهم، وعلى النقيض، أشارت عدة دراسات إلى ارتباط تأخُّر النمو بسوء التغذية والتعرُّض للإسهال المتكرر في سن مبكرة، الذي قد يُنبئ بعجز فكري لاحق.

لكن الأمر لا يتوقف على الغذاء فقط كما يبدو، ففي تجربة أُجريت عام 2000 في إحدى دور رعاية الأطفال في رومانيا، لوحظ تأثُّر نمو الأطفال الرضع الذين تم تغذيتهم جيدا وتُركوا في أَسِرّتهم دون التفاعل مع أشخاص آخرين، وأكَّد الباحثون تعرُّضهم لمشكلات معرفية لاحقا على المدى الطويل بسبب نقص المحفزات الاجتماعية والعاطفية التي تعرَّضوا لها، في هذا الصدد يبدو الفقراء أقل حظا أيضا، حيث تستهلك الندرة قدرا كبيرا من التدفُّقات المعرفية للآباء، فيصبحون أقل رغبة

وقدرة على التفاعل مع أطفالهم، وهو ما يؤثر في المحفزات التي يتعرَّض لها الأطفال، فيتأثر نموهم وتقل فرصهم في تطوير مهاراتهم المعرفية، خاصة حين تتفاعل مع عامل الفقر.

إن تجمُّع عوامل الخطر تُحيل الحياة اليومية إلى معركة، فهي متعددة الأوجه وشديدة التداخل فيما بينها، تبني بعضها فوق بعض، بما يضاعف آثارها المدمرة.

في محاولة لتصوُّر ما يُحدثه الفقر في عقولنا، أجرى إلدار شافير أستاذ علم السلوك والسياسة العامة في جامعة برينستون بالولايات المتحدة عدة تجارب؛ اقترح مثلا تجربة أن نطلب من عدد من الأفراد أن يحفظوا سلسلة من سبعة أرقام: 7، 4، 2، 6، 6، 4، 9، واختبار مدى تذكُّرهم لها. وفسَّر "شافير" ما يحدث في الدماغ عندما تُحافظ على هذه السلسلة في الذاكرة القصيرة حتى لا تنساها، حيث يكون عقلك ممتلئا بالمعنى الحرفي للكلمة، وبالتالي لا يدع لك مساحة كبيرة لإدراك أمور أخرى، مؤكدا أن العيش في حالة فقر يشبه ذلك تماما، حيث يجعلك في قلق دائم في محاولاتك للتوفيق بين الموارد القليلة وكيفية الوفاء باحتياجاتك، تماما كما لو أنك تحمل الأرقام السبعة في رأسك لكن ليس لبعض الوقت، بل دائما. سيجعلك هذا تنسى أمورا أخرى، فلديك مساحة محدودة للاهتمام بها، في أعماله لإثبات العلاقة المباشرة بين الفقر وأداء الدماغ، قام شافير بتجارب واختبارات إدراكية مختلفة. في إحداها، أخبر مجموعة من الأفراد، بعضهم من ذوي الدخول المنخفضة وآخرون ذوو دخل أعلى، أن عليهم إصلاح سياراتهم، وبصرف النظر عن أوضاعهم الاقتصادية أخبر البعض أنه هذا يتكلَّف 150 دولارا أميركيا، وأخبر البعض الآخر أنه يصل إلى 1500 دولار. وبدأ في إجراء اختبارات معرفية لكلتا المجموعتين، فماذا كانت النتيجة؟

حقَّق الأغنياء نتائج جيدة بصرف النظر عن المبلغ الذي كان عليهم دفعه، بينما حدث الفرق في نتائج الأقل دخلا، حيث كان أداء المجموعة التي كان عليها دفع فاتورة أقل أعلى بنحو 12 نقطة في معدل الذكاء من المجموعة الأخرى التي كان عليها دفع فاتورة كبيرة، وتشير هذه التجربة إلى تأثير الفقر في معدل الذكاء على المدى القصير، ولكن هل يُحدث تغيرات دماغية طويلة الأجل؟

تدرس أدينا زكي الحزوري الأستاذة في جامعة ميامي تأثير متوسط الدخل -لسنوات طويلة- في عقول الأفراد بعد بلوغهم سن الشيخوخة، وقد أجرت دراسة على 3500 من البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و30 في عام 1985 تعرَّفت فيها على دخول هؤلاء الأفراد على مدى عقدين، وبمقارنة نتائج الاختبارات المعرفية لهم بعد بلوغهم سن الشيخوخة فقد وجدت ارتباطا بين الدخل المنخفض وحالات الفقر التي عاشها بعضهم خلال هذين العقدين وبين الأداء السيئ في الاختبارات

تمكن العلماء من استخدام التكنولوجيا لتصوير الدماغ بشكل دقيق كشف عن ثمن تدفعه أدمغتنا نتيجة العيش بالبيئات المهددة والمحرومة (مواقع التواصل.

إن الأطباق الكبيرة للأقمار الصناعية فوق أسطح الأكواخ والمنازل المتواضعة، الصورة الشهيرة التي نتخذها مثالا على القرارات السيئة للفقراء، ليست هي سبب الفقر، وإنما نتيجة له، الفقراء لا يُسيئون إدارة مواردهم، لكن الفقر يُقلِّل من قدرتهم على إدارتها بشكل أفضل بسبب ندرة الموارد التي تلوح دائما.

في الإطار ذاته، ومع تمكُّن العلماء في مجال علم النفس المعرفي العصبي من استخدام التكنولوجيا في تصوير الدماغ مؤخرا بدقة، فإنهم كشفوا لنا الثمن الباهظ الذي تدفعه أدمغتنا نتيجة العيش في البيئات المُهدَّدة والمحرومة، مما يُقيِّد أجيالا متعاقبة في الفقر، فرغم أن الفقراء

ليسوا مختلفين عن بقية الأفراد بيولوجيًّا، فإن الفقر نفسه هو ما يدفع الناس للتصرُّف بشكل مختلف، إن التشوُّهات المعرفية المرتبطة بالندرة - سواء كان الفرد على وعي بها أم لا- تفرض نفسها دائما عند اتخاذ قرارات حيوية، وهكذا يجد الفقراء أنفسهم مدفوعين إلى سلوكيات معينة تُقيِّدهم أكثر في الفقر.

الطبقة المتوسطة

الطبقة الوسطى هي مقياس نسبي ومفهوم مطلق إلى حد كبير

ففي الدول مرتفعة الدخل، أن تكون من الطبقة الوسطى يعني أنك تتمتع بما يكفي من الأمان المالي لتكون قادرًا على التخطيط بأريحية للمستقبل.

الطبقة المتوسطة فئة المجتمع تقع في وسط الهرم الاجتماعي، وبحسب اصطلاح عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر فإن الطبقة المتوسطة هي الطبقة التي تأتي اقتصادياً واجتماعياً بين الطبقة العاملة والطبقة الغنية تختلف مقاييس تحديد الطبقة المتوسطة باختلاف الثقافات، عادة ما يعتبر اتساع حجم الطبقة الوسطى ورخاؤها في المجتمع أمرا ايجابيا في بنية المجتمعات.

كان دخل الأسر ذات الدخل المتوسط - أي تلك التي يبلغ دخلها ثلثي دخل الأسرة المتوسطة في الولايات المتحدة - يتراوح بين حوالي 56600 دولار إلى 169800 دولار في عام 2022. وكان دخل الأسر ذات الدخل المنخفض أقل من 56600 دولار، وكان دخل الأسر ذات الدخل المرتفع أكبر من 169800 دولار.16 sept. 2024

والطبقة المتوسطة المصرية التي يتراوح دخلها السنوي بين 78 و156 ألف جنيه (2.82 و5.65 ألف دولار) مما يجعلها أسرع الطبقات نمواً في العالم، ستكون نسبتها في عام 2025 بمصر 58.2 في المئة مقارنة بـ 34.3 في المئة عام 2021

الكثير من الأميركيين، والعديد من الاقتصاديين الأميركيين على وجه الخصوص، لديهم هوس خطير بالشريحة التي تمثل 1% من الأميركيين: مقدار ما يجنون من أموال، وكم الثروة التي يمتلكونها.. وما إلى ذلك. ويعد تزايد التفاوت الاقتصادي مشكلة حقيقية، وهناك أسباب مفهومة

للتركيز على هذا الأمر. لكن سيكون من الأفضل للولايات المتحدة التركيز على تحديات أكثر أهمية، مثل كيفية زيادة الإنتاجية أو تحسين الآفاق الاقتصادية لأدنى 50% من الشعب.

آخر مظهر من مظاهر الهوس بعدم المساواة هو الجدل الدائر حول سياسات القبول لعدد قليل من مدارس النخبة. تناولتْ ورقةٌ بحثية جديدة هذا الأسبوع مسألة نسبة الـ 1% (أغنى 1% من الأميركيين) بشكل مباشر: حيث تشير التقديرات إلى أنه بينما يتمتع أطفال الأسر ذات الدخل المنخفض باحتمالات أفضل قليلاً للالتحاق بمدارس النخبة (بافتراض حصولهم على درجات مماثلة) مقارنة بطلاب الطبقة المتوسطة العليا، فإن أطفال نسبة الـ 1% يتمتعون بفرصة أفضل بكثير من أي شخص آخر. وهذه مشكلة نخبة بحكم التعريف تقريباً، نظراً لأن معظم الكليات والجامعات ليس لديها قبول انتقائي للغاية.

هناك قضايا أخرى، حيث يدور النقاش حول المنافسة بين الطبقة الوسطى العليا والأثرياء. ضع في اعتبارك مناقشة الإسكان الحضري، والتي تركز بشكل متزايد على سبب ارتفاع تكلفة المناطق المرغوبة في العديد من المدن، أو الاهتمام بديون قروض الطلاب، بدلاً من أشكال الديون الأخرى التي تُبقي الأفراد الأكثر ضعفاً في المجتمع في وضع متدنٍ. يؤثر الخطاب حتماً على السياسة، مما يؤدي إلى إعفاء الطلاب من ديونهم، وتوسيع الائتمان الضريبي لأطفال أصحاب الدخول الأعلى، والسياسة الصناعية للوظائف التي تتطلب مهاراتٍ عاليةً، وحتى شن حملة تنظيمية على الذكاء الاصطناعي. صحيح أن بعضَ هذه البرامج تفيد أيضاً الأشخاصَ ذوي الدخل المنخفض، لكن إذا كان هذا هو الهدف، فيمكن استهدافهم بشكل أفضل.

والحقيقة هي أن الفرق بين الطبقة المتوسطة العليا والأغنياء للغاية أصبحت قضية اقتصادية أكثر مما كانت عليه في السابق، لأن المزيد من الناس ينتمون إلى الطبقة المتوسطة العليا. كان أحد الاتجاهات الأكثر لفتاً للانتباه في عدم المساواة هو تفريغ الطبقة الوسطى منذ السبعينيات. وفقاً لدراسة أجراها مركز بيو للأبحاث، تقلصت الطبقة الوسطى بواقع

11 نقطة مئوية بين عامي 1971 و2014، لتتراجع من 61% إلى 50%. كان معظم الانخفاض ناتجاً عن انضمام الأميركيين إلى الطبقة المتوسطة العليا، والتي تم تعريفها على أنها تكسب ما لا يقل عن ثلاثة أضعاف متوسط الدخل. وكان الاتجاه الآخر اللافت للنظر هو نمو الدخل لأعلى 5% من الأميركيين - وخاصة أعلى 0.01

وهناك تفسير آخر محتمل للهوس بالانضمام إلى أعلى 1% من الأميركيين، قدمه أحد الاقتصاديين، وهو أن لديهم تأثيراً وقوةً غير عادية في المجتمع الأميركي. وهذا يبرر زيادة الاهتمام والتدقيق.

لكن من المهم أن نلاحظ أن النظام الأميركي ليس مزوراً بالكامل، وشخص من Ivy League «فمتوسط راتب خريج جامعة «أيفي ليج مدرسة حكومية جيدة لا يختلف كثيراً. ذهب معظم الرؤساء التنفيذيين من إلى Fortune 500 «أكبر 500 شركة في قائمة «فورشن 500 .Texas A&M «إم &مدارس حكومية عالية الجودة مثل «تكساس إيه

نعم، من المؤكد أن ولادتك في الشريحة التي تمثل أعلى 1% من الأميركيين تزيد من احتمالات الذهاب إلى مدرسة النخبة، كما أن الذهاب إلى مدرسة النخبة يزيد من احتمالات الحصول على راتب من ينتمون إلى طبقة أعلى 1%. لكن هذا يرجع إلى حد كبير إلى أن الكثير من التوظيف يتم في المدارس العليا، حيث تكون لدى الطلاب أيضاً توقعاتٌ أعلى لما يحق لهم تحقيقه.

لكن البيانات تشير أيضاً إلى حل بسيط: يجب على المدارس العليا وأرباب العمل توسيع نطاق التوظيف، لأنه من الواضح أن هناك طلاباً موهوبين في كل مكان.

ولكي أكون واضح، أنا لست ضد تسهيل أن يصبح الناس جزءاً من أعلى 1%، ولا أمانع في أن أنضم أنا نفسي إلى هذه الشريحة، لكن المنافسةَ بين الأغنياء والأثرياء للغاية ليست القضية الأكثر إلحاحاً في عصرنا، إن موارد أميركا ليست غير محدودة، وعلينا أن نركز على المشكلات التي لا تعكس قيمنا فحسب، بل تعزز الرخاءَ العامَّ أيضاً

قد يكون عدد الأميركيين من الطبقة المتوسطة العليا أكثر من أي وقت مضى، لكن لا يزال هناك عدد كبير من السكان يتخلف أكثر عن الركب. إذا كان الهدف هو تحقيق الازدهار على نطاق أوسع، فيجب على أميركا أن تقلق قليلاً بشأن القبول في مدارس النخبة، وكثيراً بشأن التعليم من رياض الأطفال إلى الصف الثاني عشر، وإعداد دورات تدريبية تكميلية على الوظائف، وجعل سوق العمل أكثر مرونةً بالنسبة للأشخاص الذين لم يتجهوا إلى المدرسة المناسبة، ومن الأفضل التركيز على السؤال حول كيف يمكن لأدنى 30% من الأميركيين أن يصلوا إلى أعلى 70%، بدلاً من كيف يمكن لأعلى 10% أن ينضموا إلى أعلى 1 بالمئة

ينشر بترتيب خاص مع خدمة «واشنطن بوست لاي سينج آد سينديك يشن.

https://www.aletihad.ae/opinion/4420162/%D8%A3%D9%8A-%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A-%D9%8A%D8%AF%D8%AE%D9%84-%D8%A3%D9%81%D8%B6%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%B3

تعاني هذه الشريحة [الطبقة الوسطى] اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً وتعتبر صمام أمان اجتماعي وتقلصها يعني تبخر أحلام كثيرين.

إنها الطبقة التي حيرت الجميع. تجاذب أطرافها الكل، وتنازع الجميع على استرضائها. ظلت مصدر فخر للأوطان، وصمام أمان للمجتمعات، وحائط صد أمام الجهل تارة، والتجريف تارة أخرى، وترجيح كفة التوازن لصالح قاعدة الهرم أو قمته، وكلتاهما لا تصلح لضبط الإيقاع.

إيقاع المجتمعات وتقدمها أو تأخرها أو بقاؤها محلك سر مسؤولية كلاسيكية ترثها الطبقة الوسطى. هكذا قالوا قديماً، وهكذا يتحدثون حالياً. ميراث يصفونه بالثقيل دائماً. عقود طويلة والطبقة الوسطى تتحمل

مسؤولية الأخت الصغرى المتمددة القابعة تحتها في قاعدة الهرم، التي تعاني الأمرَّين من شظف العيش وضيق ذات اليد، وكذلك مسؤولية الأخت الكبرى المغلقة على نفسها والرابضة في قمة الهرم لتحجيم شططها وتقليص اندفاعها.

لكنَّ للصبر حدوداً وللقدرة سعة استيعابية قصوى، لا سيما حين يرتفع سقف الطموحات لكن تتقلص القدرات وتتمكن الإحباطات.

أبناء هذه الطبقة لا يبحثون فقط عن خدمات عامة في مقابل الضرائب التي تخصم من دخولهم، لكنهم يبحثون عن جودة هذه الخدمات مثل التعليم والصحة والبنى التحتية. ويشار إلى أن الرغبة غير المنفذة بالقدر الكافي في جودة الخدمات في مقابل الخصومات عادة ما تتسبب في تنامي الإحباط وتزايد الشعور بعدم الرضا بين أبناء هذه الطبقة.

هذه الطبقة في الدول العربية تلعب دوراً محورياً من دون أن تدري في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومن دونها أو في حال انقراضها تتعثر الدول، وتستمر عمليات التحول السياسي والاقتصادي والسياسي ماضية قدماً، ولكن للخلف در.

البعض ربط بين ما يسمى بـ «رياح التغيير" التي هبت على عدد من الدول العربية في عام 2011 والطبقة الوسطى في هذه الدول، على اعتبار أنها الطبقة التي قادت عملية الإشعال رغبة في إحداث التغيير. لكن الأحداث أشارت كذلك إلى أن الطبقة ذاتها هي التي أسهمت في إخماد الرياح، بعد ما أطلت الفوضى العارمة برأسها من كل فج عميق.

واليوم، تقف الطبقة الوسطى في العالم العربي، وهي في حيرة من أمرها، تبحث عن الذات حيناً، وتلملم جراحها وآلامها حيناً، وتجاهد من أجل البقاء دائماً. تتعدد الدول العربية، وتختلف مكونات ومعايير الطبقات الوسطى فيها، لكن تبقى الحيرة والخوف من الانقراض أرضاً مشتركة.

في مصر احتارت طبقة بين البينين وحيرت كل من حولها. كانت مصدر فخر واعتزاز في مصر منذ بزوغها في عهد محمد علي في القرن الـ 19

حين أرسل بعثات من المصريين للدراسة في الخارج والعودة لبدء بناء الدولة الحديثة مروراً بالعصر الملكي ثم سنوات ما بعد ثورة يوليو (تموز) عام 1952. لكن السياسة وقيم ومعايير الانفتاح الاقتصادي المادية والاستهلاكية أصابها بشدة لتبدأ رحلة الصراع من أجل البقاء.

وعلى الرغم من ذلك، استمر الجميع في تحميلها مسؤولية ضبط إيقاع المجتمع، واعتبروها صمام أمان ضامن لبقاء النظام، ومنطقة وسط بين شطحات "الناس اللي فوق" وبكوات "الناس اللي تحت".

لكن ما جرى هو أن الطبقة الوسطى وجدت نفسها كمن رقص على السلالم، فلا هي حافظت على الميزان، ولا ضبطت الإيقاع، ووجدت نفسها منضغطة منصهرة منكسرة بين طبقة مخملية أعلاها وأخرى مدقعة أدناها.

أدنى دخل سنوي للأسرة المصرية الوسطى -حسب تقديرات "وكالة فيتش للتصنيف الائتماني" العام الماضي- كان 78 ألف جنيه مصري (نحو 4269 دولاراً أميركياً) وبلغ الحد الأقصى 156 ألف جنيه (نحو 8533 دولاراً أميركياً). الوكالة توقعت أن تشهد الأسر المصرية المنتمية للطبقة الوسطى انتعاشاً بحلول عام 2025، وذلك في ضوء وتيرة النمو الاقتصادي في عام 2021.

لكن التوقعات تحيد أحياناً عما يجري في الواقع، فمتوسطات الدخل المذكورة لا تحقق على أرض الواقع مستوى المعيشة المبتغى من قبل أسرة الطبقة الوسطى. كما أن وتيرة النمو الاقتصادي تتعرض للتعثر حالياً، بسبب آثار حرب روسيا في أوكرانيا.

بحسبة بسيطة، أسرة مصرية من الطبقة الوسطى لديها طفلان تحتاج إلى شقة سكنية في منطقة معقولة لن يقل سعرها عن مليون ونصف المليون أو مليوني جنيه مصري (بين 55 ألفاً و82 ألف دولار أميركي)، وسيارة واحدة في الأقل لن تقل عن 300 ألف جنيه (نحو 16 ألف دولار أميركي)، وفاتورة غذاء وكساء وعلاج لا تقل عن خمسة آلاف جنيه

شهرياً (نحو 273 دولاراً أميركياً)، وسداد مصروفات مدرسة خاصة تليق بالطبقة الوسطى لن تقل عن 50 ألف جنيه سنوياً للطفل الواحد (نحو 2700 دولار أميركي)، إضافة إلى فواتير الكهرباء والماء والغاز والوقود والمواصلات والترفيه والرياضة التي لن تقل عن خمسة آلاف جنيه (نحو 273 دولاراً أميركياً)، ما يعني أن دخل الأسرة الوسطى على الورق لا يصنع أسرة متوسطة في الواقع.

معاناة اقتصادية واجتماعية ونفسية رهيبة تعيشها الطبقة الوسطى في مصر. وهي معاناة آخذة في التصاعد على مدى نصف قرن. ففي سبعينيات القرن الماضي وجدت الأسرة المصرية الوسطى نفسها تبدأ رحلة الهبوط.

أعزها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي اتبع عهده سياسات عززت من شأنها كأسرة أفرادها متعلمون على قدر كبير من الثقافة والتنشئة يحظون بوظائف جيدة في هيكل الدولة ويصعدون السلم الاجتماعي والاقتصادي بالتعليم والعمل والكد والجهد. ثم أتت رياح الانفتاح الاقتصادي في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات لتطيحها من مكانتها الضامنة لاستقرار المجتمع والشاهدة على رفعته واتساع رقعة منتصف الهرم الطبقي، إلى الضامنة لارتفاع طبقة جديدة تملك المال ولا تملك العلم أو الثقافة أو التربية على أكتافها، والشاهدة على انقلاب الهرم الطبقي رأساً على عقب حيث المال أساس صعود السلم الاجتماعي.

الطبقة الوسطى، كما تشير دراسة عنوانها "الطبقة الوسطى المصرية بين الازدهار والانحسار" (2019) منشورة في "مجلة البحث العلمي في الآداب"، هي "دينامو الحياة السياسية والمنوط بها دعم حركة المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية"، لكن الدينامو يعاني على جبهتين بحثيتين: البحث عن الذات والبحث عن لقمة العيش.

صراع الطبقتين

الطبقات القابعة عند قاعدة الهرم الطبقي الاقتصادي في مصر، التي تتميز بالكثرة العددية والصوت العالي والوجود الطاغي في الشارع، تنظر إلى جارتها أعلاها باعتبارها قد ملكت الدنيا وما عليها. عاملة المنزل و"سايس" الجراج وفرد الأمن وعامل المخبز وشاب الديلفي" يتعاملون معها باعتبارها فولاذاً قادراً على امتصاص الصدمات الاقتصادية أياً كانت، وإسفنجة رخوة عليها مد يد العون لمن هم أقل حظاً من دون مساءلة أو مراجعة.

رمانة الميزان وصمام الأمان وضحية كل زمان وأوان، طبقة مصر الوسطى المضغوطة، الصابرة، المنتظرة، المقدرة لظروف الوطن، الممتنة للحكومة، المتغاضية عن العشوائية، المتفهمة لظروف الخارجين عن القوانين والأعراف، الملتزمة القواعد الأخلاقية، تجد نفسها اليوم غير قادرة على محاولات البقاء في موقعها.

يوضح مدير مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، محمد فايز فرحات، في مقال عنوانه "هل تراجع حجم الطبقة الوسطى في مصر؟" (2021) أن قياس حجم وحالة الطبقة الوسطى لا يمكن اختزاله في متغير الدخل، سواء الاسمي أو الحقيقي، إذ لا بد من الأخذ في الاعتبار مجموعة مركبة من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوقوف على تقدير حقيقي لحجم هذه الطبقة، وهو ما يجعل الوصول إلى هذا التقدير مسألة شديدة الصعوبة والتعقيد.

ويشير فرحات إلى أهمية وضع حجم طموحات شرائح هذه الطبقة في الحسبان، وهو ما يزيد من احتمالات شعورها بالإحباط وعدم الرضا على الرغم من تحسن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية. فالكلفة المادية للطموحات والتوقعات مثل تعليم الأبناء والرعاية الصحية والضمان الاجتماعي والترفيه تكون عادة أعلى من حجم دخل الأسرة، وهو ما يزيد شعورها بتدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.

وعلى الرغم من أنين الطبقة الوسطى المستمر منذ عقود، فإن أنينها تفاقم منذ عام 2016. فهي الطبقة التي تجرعت القدر الأكبر من مرارة فاتورة الإصلاح الاقتصادي، ولم تتمكن ظروفها الاقتصادية من مجاراته، ولم تؤهلها مكانتها من الاستحقاق في برامج التخفيف عن الفقراء.

انفجار الطبقة الوسطى يأخذ وقتاً ويستغرق فكراً ويمر بدهاليز التفكير والتنظير. وهو لا يخلو من قدر وفير من حسابات المصلحة العامة والمنفعة الشعبية وإيثار الوطن، لكن المعاناة شديدة.

أنين الطبقة الوسطى هذه الأيام منبعه آثار حرب روسيا في أوكرانيا والحرب في الجوار بين إسرائيل والمقاومة الفلسطينية وغلاء الأسعار ومزيد من التعويم للجنيه المصري وهو ما أصابها فيما يشبه المقتل.

لكن "عمر الشقي بقي" كما يقال في المثل الشعبي، وكذلك عمر الطبقة الوسطى باقٍ، لأن من دونها تتوتر المجتمعات وتتهاوى الأوطان.
التضخم الآخذ في التهام مدخولاتها، وثبات رواتبها مع جنون فواتيرها تركاها في حالة هزال. لم يعد في بنود إنفاقها ما يمكن التخلي عنه. كما لم يعد في حساباتها المصرفية ما يكفي لضمان دخل إضافي يبقيها في منتصف الهرم.

أولئك الرابضون في منتصف الهرم قابضون على جمر السلم الاجتماعي.
روح الطبقة الوسطى في مصر لم تصعد إلى بارئها بعد، لكنها تصارع من أجل البقاء مع الحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من مكتسبات تعليمية وصحية واجتماعية وترفيهية. أما الصراع من أجل ارتقاء السلم الاجتماعي، فمتوقف لحين إشعار آخر.

إشعار مشابه يفيد الألم وينبئ بخطر قادم من الجزائر. فبقدر ما كانت الطبقة الوسطى مفخرة البلاد على مدى سنوات، بقدر ما تحولت إلى علامة فشل الحكومات المتعاقبة، بعدما أخفقت في حمايتها وضمان استمراريتها، ما يفتح المجال أمام اختزال المجتمع في طبقتين: غنية وفقيرة.

بات الشارع الجزائري يشكو تدني القدرة الشرائية وارتفاع الأسعار بشكل جنوني، ولم يستثنِ الوضع أحداً، من الطبيب إلى الأستاذ إلى الصحافي إلى المسؤولين في وظائف عليا. ولعل استمرار الأجور من دون زيادات منذ أعوام من أهم أسباب اتساع دائرة المتضررين، لترتفع نسب الفقر مقارنة بثروات الأغنياء وتتآكل الطبقة الوسطى التي كانت إلى وقت قريب عامل تحقيق التوازن اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

يعود ظهور الطبقة الوسطى في الجزائر إلى عهد الاشتراكية، بخاصة خلال مرحلة الرهان على التصنيع السريع، إذ كانت الحاجة ماسة إلى موظفين ومهندسين لترجمة المشروع قبل أكثر من 40 عاماً. وعلى الرغم من غياب ضوابط محددة لتعريف هذه الطبقة، فإنه يمكن تصنيفها بحسب الدخل الشهري الذي يتراوح بين 600 و1800 دولار في الشهر.

عاشت الطبقة الوسطى أزهى مراحلها في الفترة بين 2010 و2014، حين تم رفع أجور عمال القطاع العمومي وإقرار زيادة في الحد الأدنى للرواتب، لكن مع توالي الصدمات الاقتصادية المترتبة على تهاوي أسعار النفط، تراجعت القدرة الشرائية وارتفعت الأسعار وانخفضت قيمة العملة المحلية (الدينار). وبدأت هذه الطبقة بالتضرر والتقلص والتآكل، وهو ما أكده البنك الأفريقي للتنمية، حين أشار إلى أن 34 في المئة من الطبقة الوسطى الجزائرية باتت مهددة بالفقر.

يقول أستاذ الاقتصاد عبد الرحمن مبتول، إن الطبقة الوسطى في الجزائر تتجه نحو التآكل بشكل متسارع، لتهبط صوب الطبقة القريبة من الفقر والحاجة، مشيراً إلى أن الوضع الاقتصادي ينذر بتكريس طبقة مقيتة وجديدة في المجتمع.

وأضاف أن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تعرفها البلاد، وما صاحبها من غلاء المعيشة والارتفاع المستمر للأسعار جعلا الطبقة الوسطى، التي تتشكل من الموظفين في قطاعات الصحة والتربية والتعليم والإدارة، تنحدر إلى الطبقة الفقيرة، ما يهدد الاقتصاد الوطني.

من جانبها، تعتبر المتخصصة في علم الاجتماع، ثريا التيجاني، أن التآكل المستمر للطبقة الوسطى يجعل الفرد فيها يشعر بانعدام العدل والأمن. وشددت على أن فئات واسعة من الجزائريين باتوا قلقين وخائفين من المستقبل، إذ إن كثيراً من الموظفين في القطاعين العمومي والخاص، ومنهم أصحاب كفاءة وخبرة، دخلوا معركة ضمان لقمة العيش، ما جعل الهوة بين الطبقتين الغنية والفقيرة تتسع.

التيجاني أوضحت أن نخبة المجتمع التي تحدث التغيير والرقي عادة ما تكون من الطبقة الوسطى، التي تتكون من الأساتذة والأطباء والجامعيين والصحافيين والمثقفين، لأن الفقير يكون دائماً غارقاً في البحث عما يسد رمقه، كما أن الغني يهتم بجمع المال وخدمة مصالحه.

الطبقة الوسطى في الجزائر ترتكز على أفراد يعيشون من الريع، ولا يسهمون في خلق الثروة. وتقدر نسبتها بنحو 52 في المئة من السكان البالغ عددهم نحو 44 مليون نسمة. وهي بذلك، عكس البلدان المتقدمة المعتمدة في نموها على هذه الشريحة باعتبارها خلاقة للثروة الدائمة، تنتج وتستهلك في الوقت ذاته، إضافة إلى أنها أكثر الطبقات دفعاً للضرائب.

وتحظى هذه الطبقة بالاهتمام السياسي، وتلعب أدواراً مهمة في المعارك الانتخابية، حيث كل التشكيلات السياسية تبحث عن إطارات وكفاءات متميزة تخوض بها الرئاسيات أو البرلمان أو البلديات، ما يجعلها تحاول جاهدة الحفاظ على مستواها في المجتمع أو ترتقي إلى الطبقة العليا، وهو ما بات أمراً بالغ الصعوبة.

دفع هذا الوضع الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان إلى دق ناقوس الخطر، إذ أكدت في دراسة أن مظاهر الفقر عرفت تحولاً كبيراً في البلاد، ولم يعد الفقر يمس الفئات المحرومة فقط، بل باتت الوسطى مهددة بالانزلاق في هوته. وشددت على أنه إذا كان الفقر يميز سكان المناطق الريفية فيما قبل، فإنه أصبح اليوم منتشراً بشكل كبير حتى في

المدن والمناطق الحضرية، وعادت إلى الواجهة أمراض كان يعتقد أنه تم القضاء عليها. كما تم تسجيل نقص في معدل التغذية وارتفاع في البطالة. واعتبرت أن ربع الجزائريين يعيشون الفقر الذي تتجلى مظاهره من خلال تدهور المستوى المعيشي وسوء الخدمات الصحية والبطالة وتزايد الراغبين بالهجرة بأي ثمن وانتشار الأحياء الفوضوية.

وبحسب الرابطة، فإن مؤشرات مقلقة عن الفقر وخريطة الفقراء في البلاد ظهرت أخيراً، وكشفت عن أن 19 مليون جزائري يعيشون تحت خط الفقر، بعدما كانوا 14 مليوناً في 2015.

شجون في تونس

شجون مماثلة تعتري الطبقة الوسطى في تونس، وهي الطبقة التي طالما كانت رهاناً سياسياً ومشروعاً مجتمعياً، طيلة عقود ما قبل عام 2011. لكن في تونس، لم تكن الطبقة الوسطى نتاج منوال اقتصادي تنموي عادل، بل كانت قراراً سياسياً من أجل الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي لاستدامة نظام الحكم، إذ تمتص هذه الطبقة أشكال الاحتقان الاجتماعي، وشكلت لعقود مساحة عازلة بين الطبقتين الفقيرة والثرية.

وطيلة عقود ما قبل عام 2011، اتسعت رقعة الطبقة الوسطى في المجتمع التونسي لتبلغ أكثر من 70 في المئة من مجموع عدد السكان. فقد قايض نظام الرئيس السابق زين العابدين بن علي عبر هذه الطبقة مقدماً الرفاه الاجتماعي مقابل تحييد النقاش السياسي حول الحريات وحقوق الإنسان والديمقراطية، وذلك عبر استمالة القيادة المركزية للاتحاد العام التونسي للشغل، وإجراء مفاوضات اجتماعية دورية لزيادة رواتب القطاع العام، والوظيفة العمومية، مع ضمانات أخرى كعدم المساس بميزانية الدعم والمحافظة على المؤسسات العمومية.

واعتبرت الطبقة الوسطى حينها صمام أمان اجتماعي، إلا أن سنوات ما بعد عام 2011 شهدت تآكل هذه الطبقة، فتراجعت نسبتها إلى نحو 55

في المئة من التونسيين في عام 2015، بحسب دراسة أعدها المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية.

ويخشى المتابعون للشأن السياسي والاجتماعي الحالي في تونس أن يؤدي ضمور الطبقة الوسطى إلى زعزعة الاستقرار في بلد يعاني أزمات متواترة اقتصادية واجتماعية وسياسية وانقسامات سياسية حادة، إضافة إلى خطر الإرهاب واحتمال تفجر الاحتجاجات الاجتماعية في أي لحظة، بسبب غلاء المعيشة وتدني القدرة الشرائية لعموم التونسيين.

واعتبر المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية أن "سياسات تقليص الدعم، وإثقال متوسطي الدخل بالضرائب زاد من تآكل الطبقة الوسطى التي بدأت تفقد خصوصياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مقابل اتساع رقعة الطبقة الفقيرة. كما زادت المخاطر التي تهدد القدرة الشرائية للطبقة الوسطى وقدرتها على الاقتراض وضعف فرص حصولها على مسكن مريح".

يؤكد الباحث في مجالات التنمية عضو الهيئة المديرة للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، منير حسين، أن "السياسة الجبائية المجحفة أنهكت الطبقة الوسطى في تونس، إذ تسهم بنحو 70 في المئة في الضريبة المباشرة". ويضيف أن "سياسات الإصلاح الهيكلي، وتقلص دور الدولة التدريجي في الصحة والتعليم أديا إلى تحمل هذه الطبقة أعباءً مضاعفة".

ويشير حسين إلى أن "فئة واسعة من الطبقة الوسطى باتت قريبة جداً من خط الفقر، والمقدر في تونس بنحو خمسة دنانير في اليوم للفرد الواحد أي أقل من دولارين"، لافتاً إلى أن "نصف الطبقة الوسطى تقريباً باتت مدينة للبنوك التي تفرض ضغطاً متزايداً عليها".

ويشدد منير حسين على أن قاعدة الفقر باتت تتسع على حساب الطبقة الوسطى، مشيراً إلى وجود نحو خمسة ملايين أسرة فقيرة في تونس. وأضاف أن الشروط الجديدة التي يفرضها صندوق النقد الدولي على

تونس من شأنها أن تمزق أوصال ما تبقى من هذه الطبقة، وذلك من خلال ارتفاع الأسعار والرفع التدريجي للدعم وتجميد الأجور. يشار إلى أن المعدل العام للأجور في تونس هو 640 ديناراً (213 دولاراً) وهو معدل قريب من مستوى الفقر.

ولأن المصائب لا تأتي فرادى، فقد عمقت جائحة كورونا من جراح هذه الطبقة، إذ فقد نحو نصف مليون مواطن مصدر رزقهم، أغلبهم في القطاع الخاص لا سيما المؤسسات الصغرى التي تشكل عماد الاقتصاد التونسي. وتؤكد إحصاءات رسمية صادرة من معهد الإحصاء في تونس (مؤسسة عمومية) أن نسبة الفقر ارتفعت من 15 إلى 19 في المئة بعد جائحة كورونا.

الضغوط التي تتعرض لها الطبقة الوسطى لا تلحق الضرر بها وحدها، لكنها تمثل خطراً داهماً على المجتمع بأسره. فاضمحلال هذه الطبقة يهدد استقرار المجتمع الذي يواجه أصلاً تحديات عدة. وبالفعل، بدأت هذه الطبقة تفقد دورها في ضمان التوازن الاجتماعي، الذي كان يمكنها من امتصاص الاستقطاب الحاد والصراع الطبقي بين الفقراء والأثرياء. كما كانت محركاً اقتصادياً بفضل مساهمتها في تدشين المشروعات وتشجيع الاستهلاك والادخار الداخلي.

الانتهازيون الجدد

وأسهم تنامي نشاط القطاع الموازي، الذي بات مربحاً أكثر من القطاع المنظم، في نشوء شريحة انتهازية من الأثرياء الجدد. كما ظهرت بوادر ثقافة جديدة من التوحش الاجتماعي، لا تسمح بالتأسيس لازدهار اقتصادي مستدام تنتفع منه الطبقة الوسطى وسائر مكونات المجتمع، كما تحرم الدولة من مداخيل جبائية كبيرة.

تقلص الطبقة الوسطى يعني أيضاً تبخر أحلام كثيرين من الموظفين والمهنيين الشباب في امتلاك مساكنهم وضمان تعليم جيد لأبنائهم وعيش لائق لأسرهم. وقد دفعت تلك المخاوف ما يزيد على 40 ألف مهندس إلى

مغادرة البلاد في أقل من ست سنوات، كما غادر ما يزيد على عشرة آلاف طبيب إلى الخارج بحثاً عن آفاق مهنية ومادية أرحب.

من جهة أخرى، فإن الطبقة الوسطى تلعب دوراً مهماً في نحت هوية المجتمع المتجانس، الذي يؤمن بالتسامح والاعتدال والانفتاح على الآخر ثقافياً وحضارياً. وغياب مثل هذه القيم قد يشجع على تفشي الفكر المتطرف والانغلاق.

حكومات وبرامج الدولة ما بعد عام 2011 لم تنجح في صياغة عقد بديل للمقايضة التي اتبعتها الدولة طيلة عقود خلت مع هذه الطبقة، ولم تنجح في المحافظة عليها في مناخ جديد من الحرية والديمقراطية، إنقاذ الطبقة الوسطى لم يشكل أولوية سياسية أو اجتماعية في تونس الغارقة حالياً في أوحال أزمة سياسية لها تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية، التي تدفع ثمنها هذه الطبقة.

مخاوف في المغرب

وبقدر ما تشكل الطبقة الوسطى عنصر أمان واستقرار في المجتمعات العربية، بقدر ما تعلو أوجاعها جراء الضغوط الاقتصادية الآخذة في التوغل وإجراءات الحماية المستمرة في التقلص.

في المغرب، تسود مخاوف مألوفة من تعرض الطبقة الوسطى للانقراض. وشأنه شأن غيره من بلدان العالم العربي لا يوجد تعريف محدد لهذه الطبقة. لكن الجميع يتفق على أنها الطبقة الأهم، كونها المحرك الأساس للاقتصاد.

يقول المتخصص الاقتصادي، عمر التيجاني، إن الطبقة الوسطى في المغرب هي عماد المجتمع، وتشكل النسبة الكبرى بين طبقاته الثلاث، كونها الفئة الأكثر عمالة والأعلى سداداً للضرائب في القطاعين العام والخاص. كما تسهم في تمويل الصناديق الاجتماعية والتقاعد.

ويشير إلى أنه على الرغم من معدلات الاستهلاك المرتفعة بين طبقة الأغنياء، فإن عدد أفرادها قليل. وعلى الرغم من اتساع رقعة الطبقات الفقيرة، فإن قدرتها الشرائية محدودة، بالتالي يفوق حجم إسهام الطبقة الوسطى في الاستهلاك العام مثيله لدى طبقتي الأغنياء والفقراء.

وعلى الرغم من ذلك، تعاني الطبقة الوسطى في المغرب الأمرَّين. يقول الباحث الاقتصادي عبد الإله الخضري، إنه يصعب الحديث عن طبقة متوسطة حقيقية في المغرب، فالنظام الإنتاجي ونمط الاستهلاك وسياسة الانفتاح العشوائية كلها مظاهر لا تحفز على نمو الطبقة الوسطى، وإن كانت تسهم في رفع دخول بعض الفئات المحظوظة.

ويضيف أن تداعيات الأزمة الاقتصادية التي أعقبت جائحة كورونا كانت كارثية على العناصر الحقيقية للطبقة الوسطى. في حين لم تتأثر الفئات التي تستفيد من الريع ومن المداخيل غير المشروعة، بل منها من استفاد بشكل كبير خلال الجائحة.

واعتبر الخضري أن الطبقة الوسطى هي طبقة سداد فواتير الآخرين، "فهي تسدد عن الفئات الريعية والفاسدة العالقة بها، وعلى الرغم من ذلك فمديونية الدولة تمثل الجزء الأكبر، إذ تتفاقم أزماتها الاقتصادية والاجتماعية فيسقط الكثير منها في خانة الفقر والعوز. ويرتهن مستقبل الأجيال القادمة بيد المؤسسات البنكية الدولية الدائنة، والحبل على الجرار".

السعودية: قلة الخبرة في مفاهيم الادخار

في المجتمعات كافة تعد الطبقة الوسطى الميزان الحقيقي للمجتمعات، وعلى الرغم من طبيعتها المعقدة وصعوبة تحديد نسبها من مجتمع لأخر لاختلاف الأنماط السلوكية والحياتية لأفراده إلا أنها صمام الأمان، لاسيما وان لديها القدرة في احتواء المنضمين إليه من الطبقات الاخرى خصوصا من القادمين من الأسفل، لذا تحرص الحكومات على أن تكون الطبقة المتوسطة في البلاد هي النسب الاعلى خصوصا وانها الدعم

الاول والمحرك الرئيس للاقتصاد المحلي، فبحسب الاكاديمي الاقتصادي محمد القحطاني فإن الطبقة الوسطى مصدراً ثابت للطلب على السلع الرئيسية والخدمات وهي دعم كبير ومحرك لنمو الاقتصاد والناتج المحلي لدول باعتبارها المحرك للاقتصاديات بكافة أنواعها.

ويرى القحطاني أن أهمية الطبقة الوسطى تمكن بأنها المحرك الرئيس للقوة الشرائية.

وحول تعريفها وتصنيفها في المجتمعات يرى القحطاني أن هنالك صعوبة في توصيف او تعريف هذه الطبقة، مرجعا ذلك الى الاختلاف في التعاريف من دوله الى اخرى، اضافة الى عدم وجود مقياس حقيقي لها، وقال "يمكن أن نعرفها بأنها الطبقة التي لها القدرة على النمو والشراء وتلبية الاحتياجات كافة.

في حين يرى المحلل الاقتصادي سليمان العساف أن الطبقة الوسطى هي الثقل الذي يزن المجتمع ويعكس الوضع الاقتصادي الحقيقي له وكذلك الاجتماعي وقال "هي أهم مكونات المجتمع وبدونها يختل التوازن الاجتماعي في البلاد.

واستطرد بالقول "في السعودية تمثل الطبقة الوسطى الشريحة الأكبر من المجتمع، إذا تشكل ما يقارب 50 في المئة منه، على الرغم من حدوث تغيرات لهذه الطبقة خلال العقود الماضية.

مشيراً الى أنها تشكل طبقة ذوي الدخل المحدود أي "الموظفون"، الذين يستطيعون الوفاء بالتزاماتها المعيشية كافة والعيش بشكل يسر دون الاضطرار إلى الاستدانة او الاقتراض لسداد باحتياجاتهم.

واستدرك بالقول "إن الطبقة الوسطى حدث لها بعض الخلل في الفترات الماضية بسبب التغيرات التي طرأت على أنماط المعيشة لدى السعوديين، والتي أصبحت الكماليات جزء من حياتهم اليومية.

لافتاً الى تلك التغيرات في أساليب الحياة وأنماطها أسهم في الحاق الضرر على الطبقة المتوسطة، بسبب التزايد من مصروفاتهم على الكماليات والإكسسوارات.

وأشار العساف الى أن أهمية التوعية والانتباه في عمليات الصرف على الكماليات والتي أصبحت منتشرة بين أفراد المجتمع، وقال "هنالك العديد من البدائل وهنالك الخيارات المتعددة من السلع، إذ يتوجب الصرف بحسب ميزانية كل أسرة بهدف الحفاظ على الطبقة الوسطى في المجتمع.

منوه إلى أنه في حال وجود خلل في تلك الطبقة سيحدث خلل في تركيب المجتمع ككل.

وفي السياق ذاته لفت القحطاني الى أن البلاد تحرص على استقرار هذه الطبقة من خلال خلق الوظائف بين الحين والآخر في المجالات كافة، مستدركا بالقول "أن أكثر ما يهدد استقرار تلك الطبقة عدم وجود ثقافة الادخار لدى أفراد المجتمع والتي يمكن أن تهدد استقرارها او تقلص منها.

خلاف حول التصنيف:

وكما هو متوقع، فإنه لا يوجد تعريف محدد للطبقة الوسطى في المغرب، يقول الخضري إن "المندوبية السامية للتخطيط (الحكومية) تعتبر نحو 67 في المئة من ساكني المناطق الحضرية ضمن الطبقة الوسطى، لكن بعملية حسابية بسيطة فإن تكلفة السكن والتعليم والسيارة والعلاج مع بعض الكماليات تحتم ألا يقل دخل الأسرة من أربعة أفراد عن عشرة آلاف درهم (نحو 1000 دولار) في الشهر، أو 20 ألف درهم لأسرة من ستة أفراد". ويضيف أن نسبة من يحظون بمثل هذا الدخل في المغرب لا تتعدى عشرة في المئة من السكان.

ويحذر الخضري من الاكتفاء بمعيار متوسط الدخل، لأنه غير كافٍ، "وهناك الكثيرون من أبناء الطبقة الوسطى يعيشون على الريع وإنتاجيتهم معدومة إن لم نقل سلبية على الاقتصاد الوطني وعلى التنمية المستدامة. وقال إن من يحظى بدخل مرتفع من دون أن يسهم في الدورة الاقتصادية الطبيعية، بل ربما يمارس أنشطة ضارة بالاقتصاد لا يمكن إدراجها في الطبقة الوسطى، وهؤلاء كثر في المغرب.

وتتواتر أزمات الطبقة الوسطى في المغرب، ويحذر مراقبون من تهميش هذه الطبقة في السياسات العامة للدولة، بخلاف الطبقة الفقيرة التي تستفيد من الدعم عبر البرامج الاجتماعية، أو الطبقة الغنية التي لا تؤثر فيها الأزمات وتجد مخرجاً لها من الأزمات.

منحنى الأزمات في لبنان

حديث الأزمات ممتد في أرجاء العالم العربي. وفي لبنان يتخذ منحنى الأزمات أشكالاً حادة ووتيرة متسارعة. ظلت الطبقة الوسطى في لبنان تكافح من أجل الحفاظ على مستوى معقول من المعيشة. ثورة 17 أكتوبر (تشرين الأول) 2019 ثم انفجار المرفأ في 4 أغسطس (آب) 2020، ومعهما تداعيات وباء "كوفيد-19" أسهمت في إنهاء آمال هذه الطبقة بتحسن الأوضاع.

زاد تآكل الطبقة الوسطى وسقط منها كثيرون في فخ الفقر. أما الطبقات الفقيرة فقد أصبحت معتمدة بشكل شبه كامل على صناديق "الإعاشة" من الجمعيات الأهلية والدولية، وذلك جراء تفاقم أزمة البطالة ومعدلات الفقر. وقد انعكس ذلك في ارتفاع معدلات الإقبال على الهجرة.

وبحسب إحصاء لـ «الدولية للمعلومات" (شركة بحوث واستشارات مقرها بيروت) وصل عدد اللبنانيين المهاجرين والمسافرين منذ بداية عام 2021 وحتى منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) 2021 نحو 78 ألف شخص، مقارنة بنحو 18 ألفاً في عام 2021. كما بلغ عدد اللبنانيين الذين

هاجروا وسافروا من لبنان بين عامي 2018-2021 ما يزيد على 195 ألف لبناني.

تفاقم الفقر هو السبب الرئيس الذي يدفع اللبنانيين إلى المغادرة. وبحسب أحدث إحصائية صادرة عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا "الإسكوا" طال الفقر 74 في المئة تقريباً من مجموع السكان. وبالنسبة إلى الجوانب الأخرى، كالصحة والتعليم والخدمات العامة، فتصل نسبة الذين يعيشون في فقر متعدد الأبعاد إلى 82 في المئة، فيما بلغت نسبة الفقراء في عام 2020 نحو 55 في المئة من السكان. وكل ما سبق يعني تضاؤلاً وانكماشاً غير مسبوقين للطبقة الوسطى في لبنان بعد عقود قامت فيها بدور محرك الاقتصاد وضمان لاستقرار ولو نسبي.

وعلى الرغم من بعد المسافات، فإن أوضاع الطبقة الوسطى في السودان لا تختلف كثيراً، فبعد عقود من العطاء الكبير في السياسة والاقتصاد واستقرار المجتمع، اختفت أو كادت بعد ما هيمنت طبقتان فقط على المجتمع السوداني. الأولى ثرية متضخمة منعزلة عن المجتمع ولا تتفاعل مع قضاياه. والثانية مطحونة تعيش على الحافة منشغلة بتوفير أساسيات العيش والبقاء على قيد الحياة، وتمثل الغالبية العظمى من المجتمع.

وزير الدولة السابق في وزارة المالية عز الدين إبراهيم يشير إلى أن "حدوث التنمية في أي بلد يخلق قطاعاً معتبراً من الطبقة الوسطى التي تتمثل في أصحاب المهن العليا مثل الأطباء والمهندسين والمحامين والسفراء والقضاة وغيرهم، فضلاً عن أصحاب الحرف التي عليها طلب عند المجتمع وتحظى بوضع مادي مريح".

ويضيف أن هذه الطبقة ظهرت في السودان في عشرينيات القرن الماضي مع بداية العمل بمشروع الجزيرة الزراعي وتشغيل سد الرصيص، وذلك تزامناً مع التوسع في البنية التحتية من كهرباء وطرق ومستشفيات ومدارس.

التضخم عدو لدود:

الطبقة الوسطى في السودان، كغيرها من الدول العربية، تضمن الاستقرار وتنمي الثقافة، وبينها من دخل معترك السياسة وقاد دفة حكم البلاد مثل الرئيس إسماعيل الأزهري أول رئيس للسودان بعد الاستقلال 1956 الذي كان معلماً، وكذلك رئيس الوزراء بعد الاستقلال محمد أحمد المحجوب الذي كان محامياً، لكن سرعان ما حدثت انتكاسة لهذه الطبقة في سبعينيات القرن الماضي.

ويسرد عز الدين إبراهيم ما جرى للطبقة الوسطى من تدهور كبير، فيقول إن التحولات والتطورات الدولية والإقليمية في السبعينيات، وحرب أكتوبر (تشرين الأول) 1973 وما صاحبها من ارتفاع سعر النفط وانخفاض إيرادات مشروع الجزيرة عوامل أدت إلى خفض قيمة الجنيه السوداني للمرة الأولى في 1978، وارتفاع معدلات التضخم الذي يعتبر العدو اللدود للطبقة الوسطى لأن معظم دخولها ثابتة.

التردي الاقتصادي دفع كثيرين من أبناء الطبقة الوسطى في السودان إلى الهجرة. لذلك شهدت نهاية السبعينيات هجرة عدد كبير من الكفاءات إلى دول الخليج. لكن استمرار معدلات التضخم أصاب الطبقة الوسطى في مقتل. ولم تأتِ الثمانينيات بما هو أفضل، بل حدث العكس. يقول إبراهيم إن الطبقة الوسطى أصبحت من الطبقات المسحوقة.

الباحث الاقتصادي، هيثم محمد فتحي، يؤكد اختفاء معالم الطبقة الوسطى المميزة بانفتاحها على العالم والعلم، ولم تعد منشغلة بالتنوير، إذ أضنتها التكلفة الفلكية لمتطلبات الحياة وأبرزها التعليم.

ويتفق السودان مع غيره من الدول العربية في صعوبة وضع معايير للطبقة الوسطى غير مستوى الدخل أو معدلات الإنفاق على بنود مثل التعليم والصحة والترفيه.

ويوضح فتحي أن الطبقة الوسطى تتحمل حالياً أعباء تعليم الأبناء والعلاج بعد تراجع دور الدولة، إضافة إلى تكبدها عناء الغلاء والتضخم،

وهو ما يجعل معاناتها من أجل البقاء مضاعفة. وهذه مخاطر لا تواجهها الطبقة الوسطى وحدها، بل يدفع ثمنها المجتمع كله الذي كان يعتمد عليها عنصراً للاستقرار وقوة محركة للإنتاج والاستهلاك وعاملاً مقوياً للثقافة والسياسة والإصلاح وإنتاج النخب، ما يصنع فراغاً مقيتاً.

صمود في الأردن:

وفي الأردن تدعى الطبقة الوسطى بالصمود، هذه الطبقة الصغيرة التي لا تتعدى نسبتها 20 في المئة من مجموع الأردنيين، أي نحو 1.4 مليون شخص آخذة في الاضمحلال كقريناتها العربية، وعلى الرغم من ذلك، فهي لا تزال صامدة في وجه السياسات الاقتصادية التي حولت أغلب الأردنيين إلى طبقتين هما الفقراء والأغنياء.

ويظل تعريف الطبقة الوسطى في الأردن كغيرها قيد الاختلاف، مدير مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية موسى شتيوي يقول إن الطبقة الوسطى تعرف من خلال علاقتها بغيرها، فهي ليست البورجوازية المالكة، أو العاملة التي تتقاضى أجوراً، لافتاً إلى أنها تتمتع بدرجة معينة من الاستقلالية في عملها، والطبقة الوسطى هي الأكثر إنفاقاً في المجتمعات، وتؤثر مباشرة في حجم الاقتصاد ونموه، كما أنها الأكثر تعاملاً مع البنوك، والأكثر حصولاً على قروض، والأكثر استهلاكاً.

كما أن هذه الطبقة قوة ضاربة للعمل النقابي والحزبي والسياسي، فهي الأكثر مشاركة في الانتخابات البرلمانية والبلدية، وهي عماد الحياة السياسية.

وعلى مدى سنوات طويلة والضرائب والرسوم تتكالب على جيوب أبناء الطبقة الوسطى، ثم جاءت الجائحة لتسهم في تسرب المزيد منها نحو الطبقات الفقيرة وهي الطبقات الآخذة في النمو والاتساع، وتقدرها الإحصاءات الرسمية بنحو 40 في المئة من السكان، ثم أتت الجائحة لتمثل قوة ضغط مضاعفة.

خبراء الاقتصاد يلقون باللائمة على سياسات حكومية عدة تسببت في تلاشي الطبقة الوسطى، بينها التنمية غير المتوازنة التي لم تنعكس آثارها الإيجابية على الجميع بشكل متساوٍ أو متوازن، بالإضافة إلى النظام الضريبي الذي يرى مراقبون أنه كان أكثر استهدافاً للطبقة الوسطى عن غيرها.

وتشمل هذه الطبقة في الأردن معظم الموظفين الحكوميين الذين يشكلون نحو 40 في المئة من القوى العاملة. وعلى الرغم من ذلك، فكثيرون منهم اليوم يتوجهون صوب الطبقات الفقيرة لأسباب اقتصادية واضحة.

الغريب أن الحكومة الأردنية تعرف الطبقة الوسطى بأنها تلك التي يتراوح إنفاقها ما بين (ألف -1600) دولار شهرياً، ما يعني أن الفئة المعنية بتحقيق التوازن المجتمعي وتشكيل المزاج الاجتماعي العام وحماية القيم الاجتماعية والثقافية من الانهيار مهددة بالانهيار.

تراجع مذهل في العراق

انهيار آخر يجري الحديث عنه في العراق، لكن للعراق خصوصية فرضتها الأحداث السياسية والأمنية والاقتصادية الجسام على مدى ما يزيد على ثلاثة عقود. فالطبقة الوسطى العراقية أسهمت كغيرها في نمو الاقتصاد والاستقرار الاجتماعي والتنمية منذ تأسيس الدولة الحديثة في عشرينيات القرن الماضي.

لكن هذه الطبقة تعرضت لتراجع مستوى معيشي مذهل، وشهدت انتكاسة كبرى خلال فترة العقوبات على العراق، بعد غزوه الكويت، وهو ما جعلها تتقلص بشكل كبير بين عامي 1991 و2003، قبل أن تعود إليها الحياة بعد رفع العقوبات وزيادة أجور موظفي الدولة الذين يشكلون النسبة الكبرى من هذه الطبقة.

وعلى الرغم من عودة الطبقة الوسطى إلى الواجهة خلال السنوات التي تلت عام 2003، بفعل ارتفاع الإيرادات النفطية، فإنها تواجه منذ عام 2014 مشكلات بسبب الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالبلاد خلال

الحرب ضد تنظيم "داعش"، ومن ثم الأضرار التي تسببت بها جائحة كورونا.

هذه الطبقة -عبر نخبها المثقفة- لعبت دوراً مهماً في كل التغيرات السياسية التي حدثت في العراق، إذ أسهمت في نشوء بعض الحركات السياسية في ظل الصراع المحموم على السلطة، لا سيما بعد إسقاط الحكم الملكي في العراق عام 1958، وما تبعه من صراعات وانقلابات مرت على البلاد. وقد نمت الطبقة الوسطى في العراق واتسعت وانتعش دورها في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، لا سيما بعد تأميم النفط عام 1972.

تقول المتخصصة في الشأن الاقتصادي، سلام عبد الكريم سميسم، إلى أن بدء انحسار الطبقة الوسطى حدث بعد الحصار الاقتصادي عام 1991، مشيرة إلى أن أبناء هذه الطبقة هم من يحصلون على دخول ثابتة، وهم من تأثروا كثيراً بانخفاض قيمة الدينار، ما أدى إلى انتقال جزء كبير منهم إلى الطبقة الفقيرة.

وتحذر سميسم من "استمرار انحسار الطبقة الوسطى وتحولها كلها إلى فقيرة، إذا ما استمرت السياسات الاقتصادية المغلوطة التي تكون بعيدة من إجراءات الرفاهية الاقتصادية"، لافتة إلى أن "فئات واسعة من الطبقة الوسطى هي من المتعلمين والمثقفين، وهي التي تصوغ قيماً اجتماعية وتشارك في التغيير، وانحسارها يؤثر سلباً في قيم المجتمع".

وتقول سميسم إن ما جري في العراق بعد عام 2003 أدى إلى تشوه هيكلي في المجتمع العراقي، إذ صعدت طبقات أخرى، وارتفعت المداخيل وزادت القوة الشرائية، لكن ذلك لم يترافق مع تطور ثقافي وعلمي يسهم في تطوير قدرات الشعب.

من جهة أخرى، يقول المستشار المالي لرئيس مجلس الوزراء، مظهر محمد صالح، أن الطبقة الوسطى تشكل 60 في المئة من العراقيين، والفقيرة 30 في المئة والأغنياء عشرة في المئة.

طبقة انتقالية

أما رئيس "مركز العراق للدراسات الاستراتيجية"، غازي فيصل، فيرى أن "الطبقة الوسطى هي طبقة انتقالية ينتقل إليها البشر من حالة الفقر أو البطالة عبر التعليم والعمل"، لافتاً إلى أن "مدينة الثورة" (الصدر حالياً) الفقيرة، هي مثال على ذلك، لكونها قدمت أساتذة جامعيين وأكاديميين وتجاراً وأصحاب مصالح، انتقلوا من الطبقة الفقيرة إلى الطبقة الوسطى".

https://www.independentarabia.com/node/320356/%D8%AA%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D9%85%D8%B7%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A8%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B3%D8%B7%D9%89-%D9%88%D8%AA%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D8%AA%D8%A2%D9%83%D9%84

الخاتمة

الفقير بشكل عام يبقى فقيرا (ولكل قاعدة لها شواذها) والمتوسط ينزل إلى المستوى الفقر في هذه الأيام بسبب الحكومات الفاسدة والسرقات الكبيرة من قبل حاميها من رجال الدولة الفاسقة، إن الدولة تعيش على انتاج عمل الفقراء بشكل عام، كما أن أملاك الدولة تذهب إلى جيوب الحكام ورواتب الكثير من أجهزة الدولة التي لا تعمل شيئا إلا النصب والاحتيال على الإنسان المسكين وهذه السياسة القائمة لجعل الفقير يجري طيلة حياته لتحصيل لقمة العيش له ولأسرته ولم يبقى له الوقت للتفكير في وضعه ومستقبل أطفاله.

د. علي محمد فخرو :

قراءة كتاب الصحفي والروائي الفرنسي "دينيس روبرت" المعنون "السيطرة على العالم"، تثير في الذهن أسئلة محيّرة بشأن ثروات دول النفط العربية. الكتاب هو خليط من الخيال الروائي وحقائق الواقع، ولا يستطيع القارئ أن يتأكد أين يبدأ الخيال وأين ينتهي الواقع، فالمؤلف يتناول موضوع الفساد في مؤسسات المال الدولية بشكل روائي ويحكي قصة صحفي يكتشف وجود مؤسسة استثمارية في لوكسمبورج تستلم يومياً تحويلات عن طريق بنوك العالم تقدر بمليارات الدولارات فتحيلها عن طريق التلاعب بنظام تسجيل هذه الأموال على الكمبيوتر إلى أرقام سرية متشابكة تدخل تلك التحويلات في ظلام معلومات دامس يجعل من المستحيل على أي فرد أو جهة مراقبة أو حكومة معرفة مصير تلك الأموال أو الطريق الذي سلكته لاحقاً. بمعنى أن هذه التحويلات البنكية الهائلة، تصبح في ساعات وكأنها لم توجد في الواقع على الإطلاق وليس لها مالكون أصليون. تلك التحويلات المالية هي في أغلبها تعود إلى متعاملين بتجارة البغاء والمخدرات والأسلحة أو إلى المافيا أو ناهبي

ثروات بلدانهم إبان فترات حكم التسلط والفساد وغياب الشفافية. وتنتهي القصة بفشل بطلها الصحفي في إقناع أحد بأهمية اكتشافاته، سواء أكانت صحافة أم مؤسسات قضائية أم قوى سياسية معارضة. الكل يقف مرعوباً أمام جبروت المال المهيمن على العالم. مؤلف الكتاب هو بالفعل صحفي في جريدة "ليبراسيون" الباريسية ومسؤول عن صفحة المال والاستثمار فيها، لكن الحقائق التي يعرفها الصحفي ويتابعها، تختلط بالخيال الروائي الذي ربما أراده حماية لنفسه من كل أنواع المساءلة. ومن بين الذين يحوّلون تلك الثروات الهائلة إلى الظل، حيث تختفي آثارها كلياً، أسماء شخصيات ومؤسسات وبلدان عربية ومسؤولون حكوميون كبار في تلك البلدان... من هنا مشروعية تساؤلنا بل وجوب طرحه، فأولاً؛ لا يوجد شك في أن تحويلات مالية هائلة تتم يومياً من بعض الدول النفطية العربية إلى الخارج، والمحوّلون كثيرون: مسؤولون كبار وصغار من مختلسي الثروات أو من الضالعين في صفقات شراء الأسلحة، أو مغامرون من المتلاعبين بأسعار الأسهم والأراضي، أو مستفيدون من التعاون مع مبيضي الأموال ومافيا أوروبا الشرقية وتجار المخدرات والرذيلة... وغيرهم. هؤلاء لا يحتاجون إلى أكثر من بنك محلي أو دولي متعاون، ومسؤولين حكوميين يغضون الطرف، وبنوك ومؤسسات دولية تستلم التحويلات وتحيلها إلى أرقام سرية تختفي في ظلام رأسمالية النهب والفساد وتواطؤ العولمة الجديدة، ثانياً، إن في البلدان العربية المغلوبة على أمرها، تغيب كل رقابة ومحاسبة، فالمجالس النيابية إما صورية أو مزورة أو مشتراة، ودواوين المحاسبة تحت سيطرة السلطة التنفيذية، والقضاء غير مستقل بل مخترق في أغلب الأحيان، والدور الرقابي للصحافة وأحزاب المعارضة السياسية، كسيح أو شبه معدوم! وثالثاً؛ إن دولاً كثيرة تعتمد في استقرار اقتصادها وعملاتها الوطنية على تدفق مثل تلك الأموال إلى أسواقها بصورة منتظمة، فالولايات المتحدة الأميركية مثلاً، تحتاج إلى تحويل ما بين 2 و3 مليارات دولار يومياً إلى أسواقها، كي تحافظ على استقرار عملتها، ولتتمكن من دفع ديونها الخارجية، والإنفاق على مغامراتها العسكرية، ومن المؤكد أن جزءاً من هذه

الأموال هو من أموال الحرام والنهب والتبييض! وذلك ما يجعل انتقال الأموال العربية، الشرعية وغير الشرعية، جزءاً من لعبة دولية كبرى لها أسرارها وخباياها، والسؤال الآن: كم من الأموال العربية، النفطية وغير النفطية، تؤول إلى أرقام سرية وكأنها لم توجد قط؟ صورة الفاجعة تكتمل بأنه في الوقت الذي يزداد عدد الفقراء العرب، تكبر وتكبر تحويلات أموال وطن العرب إلى خزائن مؤسسات الاستثمار المشبوهة، لتضيع ربما إلى الأبد، هل لنا من أفراد أو مؤسسات يمتلكون القدرة والشجاعة لمتابعة موضوع النهب المنتظم لثروات العرب وأقوات فقرائهم؟

مع ارتفاع الدين العام وتراجع الاحتياطات الأجنبية، تتجه الأزمة الاقتصادية للمملكة العربية السعودية نحو التصعيد في الأشهر المقبلة.

وفي تقريره الذي نشره موقع "ميدل إيست آي" البريطاني، قال الكاتب محمد عايش إن وزير المالية السعودي محمد الجدعان، كشف مؤخرا أن حكومته ستقترض 220 مليار ريال سعودي هذا العام (58.6 مليار دولار).

في الواقع، يسلط هذا الإعلان الضوء على عبء الدين المتزايد في البلاد، كما يثير تساؤلات حول الوضع المالي للرياض، خاصة بعد أن حققت المملكة قبل أعوام واحدا من أدنى معدلات الديون في جميع أنحاء العالم.

وتعد السعودية صاحبة أكبر اقتصاد في العالم العربي، والعضو العربي الوحيد في مجموعة العشرين، بالإضافة إلى كونها أكبر مصدر للنفط في العالم.

التأثيرات الإقليمية

أوضح الكاتب أن الرخاء الاقتصادي في السعودية اجتذب الملايين من المغتربين العرب والأجانب المؤهلين للعمل لدى الشركات السعودية والمؤسسات العامة، ونتيجة لذلك فإن الانكماش الاقتصادي في البلاد سيؤثر على المنطقة بأسرها.

وفي خضم الأزمة الاقتصادية العالمية الحادة التي أثارها وباء كورونا، واجهت السعودية انخفاضا كبيرا في أسعار النفط وتعطل السياحة الدينية إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة، نظرا لعدم قدرة ملايين الزوار على السفر إلى البلاد هذا العام لأداء الشعائر الدينية.

وحتى قبل الأزمات المتعددة التي ظهرت في الأشهر الأخيرة، كشفت بيانات البنك الدولي أن إجمالي الدين الخارجي للمملكة العربية السعودية يزيد على 183 مليار دولار في نهاية عام 2019، مقارنة بـ 151 مليار دولار في نهاية عام 2018، كما أن هذه القيمة سترتفع أكثر هذا العام.

الديون المتصاعدة

ارتفع إجمالي الدين الخارجي للبلاد بشكل كبير على مدى الأعوام الخمسة الماضية، ففي نهاية عام 2014، وقبل بضعة أشهر من بدء حرب اليمن، كان إجمالي الدين الخارجي أقل بقليل من 12 مليار دولار، مما يدل على أن هذا المعدل شهد ارتفاعا بأكثر من 1500% في الأعوام الخمسة الماضية.

وخلال فترة الأعوام الخمسة نفسها، انخفضت الاحتياطيات النقدية أيضا، إذ تظهر التقارير الصادرة عن مؤسسة النقد العربي السعودي أن إجمالي الأصول الاحتياطية للبلاد قدرت بنحو 732 مليار دولار في نهاية عام 2014، لكنها انخفضت إلى 499 مليار دولار بنهاية عام 2019.

وتشير هذه الأرقام إلى أنه على مدى الأعوام الخمسة الماضية، بينما كانت السعودية تقترض عشرات المليارات من الدولارات من الخارج، كانت تقوم أيضا بسحب مبلغ مماثل من أصول الاحتياطي العام.

والأهم من ذلك أن جميع هذه الأرقام تعود إلى أواخر عام 2019، أي قبل انخفاض أسعار النفط وتفشي فيروس كورونا وتراجع السفر والتجارة العالمية، فأين ذهبت كل هذه الأموال؟

معارك بالوكالة

في حين أنه من غير الواضح بالضبط أين يقع توجيه جميع الأموال، كان التغيير البارز خلال هذه الفترة هو انطلاق حرب اليمن في مارس/آذار عام 2015، كذلك أصبحت الصراعات الإقليمية الأخرى في ليبيا وسوريا بالوكالة، حيث تجذب العديد من الأطراف الخليجية.

في المقابل، أعلنت الرياض مؤخرا حملة تقشف ضخمة تشمل تخفيضات بقيمة ثماني مليارات دولار في برنامج الإصلاحات الطموح "رؤية 2030"، الذي كان أولوية رئيسية لولي العهد الأمير محمد بن سلمان.

بدأت العمليات في الساعة الثانية صباحاً بتوقيت السعودية من يوم الخميس 6 جمادى الثاني 1436 هـ - 26 مارس 2015، وذلك عندما قامت القوات الجوية الملكية السعودية بقصف جوي كثيف على المواقع التابعة لمسلحي جماعة أنصار الله والقوات التابعة لصالح في اليمن ولهذا كانت السعودية قد اشترت من أمريكا 60 مليار دولار أسلحة لهذا الغرض عندما جاء الرئيس الأمريكي ترامب مع ابنته الشقراء إلى السعودية لتغييب عقول السعوديين وابتزازهم ب 60 مليار دولار واقناعهم بضرورة شن الحرب على الحوثيين التابعين لإيران.

لقد أوقع بينهم وأشعل فتيل الحرب ليبيع للسعودية الأسلحة ومن غباء العرب أنهم تقاتلوا فيما بينهم والرابح الوحيد إسرائيل وأمريكا.

هذا مثال أين تذهب أموال الشعوب دون علمها أو دون إرادتها، إن السياسة الأمريكية بشكل عام تعتمد على إغراق الدولة بالديون ومن ثم السيطرة على سياساتها الداخلية والخارجية.

تعمل أولا على دفع الملايين لتجعل الحكومة تابعة لها سواء بالانقلابات و بتعزيز الديكتاتور على القاء القبضة الحديدية على شعبه، ومن ثم يعرض على هذه الحكومات الديون بهدف الإصلاحات التحتية للدولة وطبعا هذه المليارات التي تدخل جيوب الحكام لا يستفيد منها الشعب بل تصبح الدولة تزخر تحت الديون الكبيرة بحيث لا تستطيع سداد حتى الفائدة

الكبيرة لهذه الديون مما تدفع الحكومة من بيع بعض من أراضيها لتقيم أمريكا قواعدها العسكرية أو لتشتري صمتها إزاء الانتهاكات والسرقات الكبيرة من المواد الأولية أو البترول من هذه البلاد أو لتجبرها على تقديم المناهج التعليمية للأجيال حسب ما تراه مصلحتها لتبقى البلاد كما هي عليه وتعزيز الطائفية التي تقضي على الأخضر واليابس.

النتيجة هي ارتفاع معدل البطالة والجهل والفقر في المجتمع لأنه يزخر تحت حكم اللصوص الذين يسرقون موارد البلد ويتلاعبون في مستقبلهم.

https://www.aljazeera.net/ebusiness/2020/5/17/%D8%A3%D9%8A%D9%86-%D8%B0%D9%87%D8%A8%D8%AA-%D8%A3%D9%85%D9%88%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

الفهرس

2- مقدمة

6- الطبقة الغنية

11- الطبقة الفقيرة

19 الطبقة المتوسطة

44- الخاتمة